



ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: www.jtuh.org/

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

M. Adnan Hussein Ali

Tikrit University College of Education for Human Sciences

* Corresponding author: E-mail :
adnan.h.ali@tu.edu.iq

Keywords:

Trends of modern directing
Iraqi performances
Arab Theater Festival

ARTICLE INFO

Article history:

Received	2 Aug 2023
Received in revised form	10 Aug 2023
Accepted	19 Aug 2023
Final Proofreading	20 Aug 2023
Available online	31 Aug 2023

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER
THE CC BY LICENSE

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



Journal of Tikrit University for Humanities

Modernist theatrical trends for Iraqi performances At the Arab Theater Festival (select models)

ABSTRACT

It is well known that the interest in systematic scientific research in the art of the actor in the Western theater would not have really begun except with the emergence of the natural logic of performance in the second half of the nineteenth century and under the influence of the flourishing spirit of scientific research, which produced an increasing number of accurate scientific tools and means, and worked to develop them. With the aim of exploring and defining the dimensions of the natural world.

It was necessary to respond to this move by the new leaders of theatrical art (directors), and thus the theater became like a laboratory in which great directors such as (Andre Antoine - Edward Craig - Stanislavsky - Meyer Hold - Brecht - Beckett - Ionesco - Adamov - Peter Weiss - Peter Brock - Michael Curry - Robert Wilson - Richard Foreman - and others).

The research dealt with the experience of: Muhannad Hadi and Imad Mohamed in their performances, participating in the Arab Theater Festival in Tunisia 2018.

© 2023 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://doi.org/10.25130/jtuh.30.8.2.2023.20>

اتجاهات الاخراج المسرحي الحداثي للعروض العراقية في مهرجان المسرح العربي (نماذج مختارة)

م. عدنان حسين علي / جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الانسانية

الخلاصة:

من المعروف أن الاهتمام بالبحث العلمي المنهجي في فن الممثل في المسرح الغربي لم يكن ليبدأ بالفعل إلا مع ظهور المنطق الطبيعي للأداء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحت تأثير روح البحث العلمي المزدهرة، التي أفرزت عدداً متزايداً من الأدوات والوسائل العلمية الدقيقة، وعملت على تطويرها بهدف استكشاف وتحديد أبعاد العالم الطبيعي.

وقد كان من الضروري أن يستجيب لهذه النقلة القادة الجدد للفن المسرحي (المخرجون) وهكذا أصبح المسرح أشبه بالمعمل

الذي يبحث فيه مخرجون عظام مثل (أندريه أنطوان - إدوارد كريج - ستانسلافسكي - مايير هول - بريخت - بيكت - يونسكو - أداموف - بيتر فايس - بيتر بروك - مايكل كيري - روبرت ويلسون - ريتشارد فورمان - وغيرهم). وتناول البحث تجربة كلاً من: مهند هادي وعماد محمد في عروضهم المشاركة في مهرجان المسرح العربي بتونس 2018.

الكلمات المفتاحية:

- اتجاهات الاخراج الحداثي

- العروض العراقية

- مهرجان المسرح العربي

مقدمة

تتحول الرؤيا الإخراجية الإبداعية إلى وسيلة الفنان الحقيقية والمعاصرة لتوصيل رؤياه للجمهور. لأن المسرح هو شعر الكون والوجود في الفضاء الإبداعي. ولهذا فإن الرؤيا الإخراجية تعني التأليف الجديد للحدث والفعل والجسد، في لحظة من تجليات الذات المتفردة في زمنها وفضائها الإبداعي والإخراجي ويعني أيضاً هو البعد الشعري لفضاء وزمن الطقس المسرحي من هذا المنطلق فإن المخرج هو راء متفرد نتيجة لرؤيته الإبداعية الخاصة التي تتشكل في زمن الإبداع ولا يمكن للمخرج أن ينجح في استعمال وسائله التعبيرية بشكل مبدع ما لم يمتلك معرفة دقيقة بقوانين التأليف المسرحي أيضاً حتى يكون خالفاً ومبدعاً للنص بوسائله البصرية من هنا يبدأ تأليف الرؤيا الإخراجية والكتابة والفكر الإخراجي بحيث يكون المخرج مؤلفاً ثانياً للنص أي أنه يقوم بتأليف النص وإعادة خلقه بصرياً.

من المعروف أن الاهتمام بالبحث العلمي المنهجي في فن الممثل في المسرح الغربي لم يكن ليبدأ بالفعل إلا مع ظهور المنطق الطبيعي للأداء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وتحت تأثير روح البحث العلمي المزدهرة، التي أفرزت عدداً متزايداً من الأدوات والوسائل العلمية الدقيقة، وعملت على تطويرها بهدف استكشاف وتحديد أبعاد العالم الطبيعي.

وقد كان من الضروري أن يستجيب لهذه النقلة القادة الجدد للفن المسرحي (المخرجون) وهكذا أصبح المسرح أشبه بالمعمل الذي يبحث فيه مخرجون عظام مثل (أندريه أنطوان - إدوارد كريج - ستانسلافسكي - مايير هول - بريخت - بيكت - يونسكو - أداموف - بيتر فايس - بيتر بروك - مايكل كيري - روبرت ويلسون - ريتشارد فورمان - وغيرهم).

عن حلول علمية ونظرية لتلك الإشكاليات التي تفرزها الطبيعة التناقضية للممثل وعمل المخرج كلاً وفق فلسفته الجمالية التي ينتمي إليها ويدافع عنها.

ولقد مر المسرح العراقي بالعديد من المراحل وصولاً إلى الاتجاهات الحداثية في الإخراج المسرحي، ولعل المبدع العراقي في تجربته الإبداعية كمخرج مسرحي ليست ببعيدة عن تلك الأبعاد والدلالات حيث أنه تنوعت المدارس والاتجاهات في الإخراج المسرحي في تجربته الإبداعية، ومن هنا تبدو أهمية هذه الدراسة.

أهمية الدراسة

يواجه العرض المسرحي سلطتين هما سلطة الدولة وسلطة الجمهور فالدولة تفرض مغازلتها والدوران في أفلاكها، أما الجمهور فيعبر عن ذاته مسرحياً من خلال شباك التذاكر. لذلك فالإبداع الحقيقي يعتمد في الأساس على الحرية، حرية المبدع في الخلق، وحرية المتلقي في التجمهر والفهم.

وعلى هذا فالأداء المسرحي وهو بحق يعد حقلاً للتصادم حيث التناقض والصراع، الفعل ورد الفعل، الموقف ونقيضه، السكون والتحول، إنه بناء جديد تم تركيبه وصياغته من هنا تنبثق أهمية هذه الدراسة

مشكلة الدراسة:

إن المسرح العراقي لا يبتعد كثيراً من حيث أسئلته الإشكالية عن المسرح العربي ذلك أنه بدوره قد طرح ضمن إشكالية الهوية والنشأة والوجود، فقد خاض زمناً طويلاً في الإجابة عن السؤال القديم الحديث ... هل يوجد مسرح عراقي ذو جذور ممتدة في القدم؟ وهل للمدارس المسرحية العالمية تواجد بالمسرح العراقي منذ البداية؟ إلا أن التساؤل الرئيسي لهذه الدراسة هو كيف أثرت مناهج الإخراج العالمية في المسرح العراقي ؟
منهج الدراسة:-

منهج النقد الثقافي لدراسة العلاقة بين الشخصية (البطل المسرحي / الكاتب المسرحي / العرض المسرحي) والمتغيرات الثقافية المحيطة بالعرض المسرحي العراقي المتأثر بالمدارس المسرحية الغربية، وبالمحيط السياسي والثقافي بالعراق.

أولاً: العرض المسرحي (رائحة حرب)

تأليف/ يوسف البحري و مثال غازي

إخراج/ عماد محمد

إنتاج/ الفرقة الوطنية للتمثيل بالعراق

مهرجان المسرح العربي - تونس 2018

"إنه صار ممكناً توصيف وجودنا الحالى شبيهاً بالإقامة على صفيح ميتافيزيقي لا هم إلا تسيطر الحد العنيف لموتنا المحقق بسلالتنا، إلا أن ذلك لن يحجب عنا بشكل أو بآخر ضرورة القفز خارج معادلته ، ولن تكون ثمة رهان ينقذنا من ذلك إلا الفن، بوصفه أول نسغ إنسانى يقولنا ويقول غوائلنا ومحننا. تنتمى رائحة حرب إلى مثل هذا الوجود المرقع بأسماء من قفزوا إلى صورهم، حيث لا ثمة غير يافطات عزرائيل، وطيور الكاتيوشا على ظهور الأطفال وخيام المخيمات، لكن هل ثمة رعاية لإنسانيتنا فى هذا العرض، بمعنى الافصح عن ثقب ما من خلاله يبدأ التفكير فى المستقبل؟ هذا ما سنحاول البحث عنه، نحن الذين نبث عن آخر سرديّة تخترق سرديّة النهايات"⁽¹⁾، فالعرض يكشف حقيقة من هي.

إن الحرب دائماً ما تكون دموعها خشنة، والعبارة هنا للشاعر العراقي أحمد ضياء، وفى المقام الثانى، إن مسرح ما بعد الدراما، ذلك الذى يلتجئ إلى عالم الديجتال فى أغلب الأحيان، لا يرفع الوجود والألم الإنسانى إلا بوصفه لا يخون الممثل، أما إذا فعل ذلك فلا يمكن عده مسرحاً، إذ أن هذا الفن منذ أوله، ومنذ قدم قديمه، لم يفصح عن كينونته إلا بوصفه مؤمناً بالدم، وبوصفه حفيداً لذلك القران البائس ديونيسوس، من نزل دمه على الأرض بعد أن قطعت أوصاله نتيجة معركة ضارية بين الفلاح والتاجر منذ أول الثورة الزراعية قبل عشرة آلاف عام، "ومن ثم كانت طقوس الانبعاث كل ربيع، حيث تنبت شقائق النعمان كعلامة جذرية على إنتصار الخصب ضد سنوات الجذب والموت والقحط، وفى المقام الثالث، نحن على لسان الفيلسوف جان بودريار، سنؤمن بيقين مالح، والعبارة للشاعر التونسى الصغير أولاد أحمد، أنه لا يوحد الآن بين سرديات المقدس، بما هي الآن محتكرة من قبل بورصات الممارسة الإرهابية القائمة على فلاحه القتل والموت"⁽²⁾، والفكر الحداثى بما هو الآن يفشل فى استنطاق المستقبل فيرتد إلى خلق عدو له كى يضيف مشروعية على وجوده إذ أن ما يُسير المستقبل اليوم هو القيامة/ الآخرة لاغير، أما عن المسرح، فهو الآن فى رعاية هذه الثنائية المرعبة، حيث لا سمة غير تفاهة القتل، وكأن ما يجرى اليوم لا يتعدى تنشيط ما أصطلح عليه الفيلسوف ليونار بالعصر اللانسانى، وعليه، فلنذهب عميقاً كما يقول محمود درويش فى أغوار العمل المسرحى رائحة حرب، وهنا نستدعى لعبة أرتو المسرحية حيث دعا (أرتو) إلى مسرح الأسطورة والسحر، ونادى بالتخلي عن الواقعية السردية والنفسية ويرى مهمة المسرح هي التعبير عن الأشياء التي لايمكن التعبير عنها بالكلمات، وينحصر دور الكلمات في حدود الشعائرية والتعويذية، فالمخرج هنا يعلو بالنص نحو مرحلة أعمق كما فعل أرتو فى "وضع النص فى مكانة عالية، ورأى أن للنص المسرحي امكانيات لاحصر لها، فأحل النص مكان الصدارة فى العرض المسرحي، وفي المرحلة الثانية، كف (أرتو) عن الدفاع عن فكرة سيادة النص وعدم المساس به، واستبدل ذلك بسيادة الإخراج، وحرية المخرج المطلقة فى العرض

المسرحي، يقول أرتو "سنطلب من الإخراج لا من النص، أن يعنى بتجسيد الصراعات القديمة"(3) والمتجددة كما فى العراق.

فقد حاول استبعاد النص عن العرض، واستبداله بالصرخات والالتواءات التي يؤديها الممثل، وفي هذه المرحلة، أهان (أرتو) النص، وشوّهه، وأذله، وأفقدّه صفاته الرئيسية بالتدرّج ودعا إلى وضع حد لاستبعاد النص، والبحث عن فكرة لغة جديدة تقع في منتصف الطريق بين الحركة والفكرة، واقترح أن تكون قريبة إلى الكتابة الموسيقية، أو تكون نوعاً من اللغة المرقمة، يقول أرتو "لن نمثل مسرحيات مكتوبة، لكننا سنحاول أن نقوم بمحاولات في الإخراج المباشر حول الموضوعات والوقائع، والمؤلفات المعروفة"(4). ويقول أيضاً "سنخرج دون أن نحسب حساب النص"(5)، ليتحول طريقه قراءة المخرج إلى قراءة ثقافية لما هو مستقر بالعراق، ففي العرض ثمة جنرال على هوس دائم بفلاحة الحرب، وعلى الأغلب كما يذهب علماء العاديات القدامى في إطار بحثهم عن الأشكال الأوموفاجية للذات الإنسانية وتوحشها الأول، "هو لم يعد في حاجة إلى الحياة، وعلى العكس من ذلك، لأنه يستبدل وجوده على مسطحات البسيطة بوجود ميتافيزيقي/آخروي، ولذلك لم يعد في حاجة إلى القتل ومعادلات الحرب، وفي السيرة أيضاً ثمة امرأة كلت المكاراة فاستعلت لكنها انتكست بفعل الويلات، والخيبات، وفقدان من ماتوا أو ما ماتوا، ومن رحلوا وما رحلوا، وثمة أيضاً حفيد ذلك الجنرال الذي وجد نفسه في خضم البحث عن مسلك يثقب دائرة الخراب وليس ثمة إلا مثلك قائم على الرعب، تؤنّثه معادلة سافرة قائمة على الدم الذي يشغله الجنرال، وعلى الجثث التي تراثها امرأة ثكلى، وعلى محنة البحث عن نجاة تؤرق ذلك الحفيد"(6).

في السيرة يولد النص المسرحي الذي تم اقتباسه من رواية الفلسطيني أكرم مسلم والموسوم بعنوان التبس الأمر على القلق، وكما يمكن القول أنه ثمة فرق كبير بين الكتابة المسرحية والكتابة الروائية، أن النص المسرحي كان قائماً على التشظى، دون أى حبكة درامية، أو لنقل من باب المواضعات الدراماتورية، فأنتصرت التكنولوجيا ولم ينتصر الدم، وانتصر العلم، ولم ينتصر الانسان.

يقول (بول غودمان) عن رأي (أرتو) في المسرح "أن المسرح شأنه شأن أي فن آخر، هو فعل مادي، أنه ليس مرآة أو صورة، يمكن أن يستوعبها المتفرج ويفسرها حسب ميوله وأهوائه، إنه ليس فانتازيا"(7). ولا يراه أرتو أيضاً مسرحاً تستعرض فيه أسطورة معينة، بطريقة وهمية رمزية، إنه "بوتقة نار ولحم حقيقي يعاد فيها تركيب الأجساد بالترشيح ودوس العظام، والأعضاء ومقاطع الألفاظ"(8)، كما بنى العرض المسرحي صورته المشهدية في رائحة حرب.

ويرى (أرتو)، أنه لا يوجد مسرح إلا إذا وجد عنصر القسوة كأساس في كل عرض، وكلمة القسوة عند (أرتو) تعني شهوة الحياة، وعند العالم وبالضرورة الحتمية، كما يعني بها أيضاً حب الحياة أو دوامة

الحياة التي تلتهم الكلمات، أو بمعنى آخر ذلك الألم الذي لا يمكن بدونه، أن تكون ضرورة الحياة حتمية، إذن "مسرح القسوة، مسرح حركة يبحث عن التعمق دون التقيد بقيود الزمن والتطور الزمني، إذ يتجنب التسلسل الطبيعي للقصة أو للنص المكتوب، مضحياً من أجل الوصول إلى الإدراك المباشر التلقائي.."⁽⁹⁾، لذا ارتفعت نبرة الألم ما بين النص/ نص الحياة، والعرض/ عرض ثانى وقراءة ثانية وثالثة للمشاهد العراقي العام والخاص، المشهد الحياتي والمشهد الدرامي، مشاهد القتل والحرب عندما تعلو خشبة المسرح لذلك كان اللعب على منطق الإدراك والذي يؤكد ستانسلاكي قائلاً:

"إن الإدراك عند الممثل ليس معناه أن يدرك بعقله فحسب، ولكن معناه أن يحس .. أن يشعر .. ويشعر بجسمه كله".⁽⁵⁾، هذا الشعور التآلف الداخل والخارج.

إن هذا المزاج الجسماني الذي يسهل جداً على الإلهام أن يولد في ظله. "ولكن .. كيف يستطيع الممثل أن يجعل هذا المزاج حالة مستمرة وليس مجرد صدفة طارئة؟ كيف يستطيع أن يخلقه متى شاء وكلما أراد؟ إنه إذا تعذر أن يخلقه كله دفعة واحدة فيجب الوصول إليه خطوة بعد خطوة، مستعيناً على بنائه باستعمال عناصر مختلفة، كاستخدامات الحداثة على خشبة المسرح من تكنولوجيا وديجيتال أكثر تقدماً.

في كتاب مسرح ما بعد الدراما، نقرأ مايلى، "سوف يأتي يوم تتكلم فيه التكنولوجيا بدلاً منا، وفي كتاب الصدمة المدوجة، المسرح والحداثة لعبدالكريم برشيد، نكتشف أنه من الحيف استبدال الممثل بالدمية كما فعل جوردين جريك، أو استبداله بالتقنية، كما يمكن أن يدرك أن المسرح فن يهدم ذاته باستمرار، بما هو فن تخلص من نقائه، لذلك فهو يلتجئ إلى تشغيل جملة من التقنيات الأخرى لفنون مغايرة، علينا أن نضع في اعتبارنا في نهاية المطاف، أن هذا الفن مهما تخلص من مرتكزاته النظرية القديمة، ومهما حطم الدوغم الأرسطي، عليه ألا يخون جوهره، جينته، ماهيته الحقيقية، ألا وهى الدم بما هو لا يجد اعتباره أو سكناه ووطنه إلا في جسد الممثل. عليه فإن متابعتنا لهذا العرض، كشفت عن كونه اغتال الممثل، وبدلاً منه، سقط في التكنولوجيا، وحتى أنه فعل ذلك بدافع سينيمائي على ما يبدو، إلا أنه لم ينجح في توليف باقى عناصر العرض من نص وأداء تمثيلي وأدوات واكسسوارات كى تدلى جميعها فى ما بعد بنسيج واحد، تتعالق فيه هذه الأطراف المتباينة، وتؤلف جسد العرض، بما هو يقول فى نهاية المطاف بمحنة أفراد يعايشون حرباً دامية"⁽¹⁰⁾.

نحن أمام شاشة عملاقة، تسرد مشاهد من الحرب، والقسوة، والخراب، والقبور: أن نشاهد طلال الممثلين تتعكس على تلك الشاشة يبدو أن أكثر لفظية لغوية تكررت هى لفظة "الفاحة" كإحدى سور القرآن، وكما هو معلوم، فإنها عادة ما تقرأ كلما تجمهر رهط من الناس فى جنازة ما، حيث يتم توديع أحد الموتى هى تلك اللحظات التى كلما شعرنا فيها بأن ذلك الجنرال الدموى، القاتل الضحوك، رجلاً لا يمكن

أن يطاق بإطلاق على مستوى انساني نتيجة شغفه بالدم، يباغتنا بشكل مفاجئ ليجعل من سرديته الدينية ترحل نحو أفق مغاير، إذ كثيراً ما لا يخترق حقائقها اليقينية، ليرحل إلى نوع من التجلى الصوفى كشفت عنه الموسيقى المصاحبة للعرض، خاصة "إن الممثل في دوره تسيطر عليه إحساسات معينة تماماً كما لو كان في الحياة، فالمطلوب منه إذن أن يتوفر فيه الإحساس وقوة التركيز للأفكار وقوة التذكر لأشكال الحركة الجسمية، ثم الإحساس بآلية هذه الحركة، وعليه أيضاً أن يكون مفعماً بالشعور، يعيش في الدور ويتسلل تحت جلد الشخصية ثم أخيراً المقدرة على إيجاد العلاقات الذهنية ومنطقية الإحساس والقدرة على التحليل النفسي" (1).

"إن عملية تذكر الشعور هذه إنما تنبع من إحساسات داخلية يستدعيها الممثل من داخل نفسه أو تكون مكررة لديه، وفق واقع ثقافي وسياسي مكرر أيضاً، إذ كان الممثلون يعرفون كيف يؤدون ويتحركون، فقد كانوا مسلحين حقاً بأسس التكنيك وكانوا مهئين لشجاعة المخاطرة التي كان استانسلافسكي مقبل عليها وكانت هناك تأكيدات مستمرة على أهمية التكنيك الخارجي" (2) وخاصة الاهتمام الواعي بتوظيف الجسد مسرحياً، فقد كان ستانسلافسكي، يضع في اهتمامه الأساسي تدريب الصوت والجسم أساساً لآلة الممثل، وما يتم تدريب الممثل على الأساسيات من عوامل التركيز والاسترخاء، يكون عندئذ جاهزاً للتكنيك الداخلي للذاكرة الانفعالية، الذاكرة التي تحمل وتحتل كل الواقع العراقي القاسي.

فرب شذرة يلقيها الجنرال مبرراً الموت وقتله أحد الضحايا كانت "أشد مضاضة علينا" من وقع الرصاص في صدر الضحية، قال من خلالها: "كنت في حاجة إلى دمه لأبرد فوهة البندقية" ورب شذرة تلقيها امرأة تكلى على خشبة الركح تقول من خلالها: "هل بالموت فقط ندافع على الأمة" ستكون أقل وطأة من الأولى. لننتبه إلى أن الأول لا يمثل إلا شخصية دُفعت إلى القتل دفعاً، إذ هو إزاء معادلة إن لم يكن فيها قاتلاً فهو مقتول، ولا مجال للنجاة، أما الشخصية الغائبة (العم سالم) فقد مات بسبب براءته ورفضه الحرب، لقد انتصرت خيام الظلام والدم على السلام والهروب إلى الإنسانية، ولننتبه إلى أن تلك المرأة ما هي إلا شخصية عبثية، وإلا كيف يمكن السؤال عن الموت والأرض لا يسكنها غير ذلك الكائن الميتافيزيقي المسمى عزرائيل، وهو يكتب على جدران المدن، مدن الرماد والخراب والنهايات، ثم ماذا يعني أن تستعمل تلك المرأة في خطابها تلك اللفظة اللغوية (أمة)؟ ألا بعد ذلك سقوطاً من الزمن لا فيه؟ ألا ندرك أننا مُعولمون غصباً عنا؟ أن نرفض ذلك فمعناه رفضنا أن نكون إنساناً كوكبياً، وعليه سيكون من حقنا الآن أن ندلى بالسؤال التالي: لماذا تشغيل الديجتال والتقنية بما هي تتناقض ومصطلح الأمة، بوصفها علامة جذرية على الانسان الكوكبي الأخير؟

يحدث أن يكون الموت مصادفةً مُفجعة، أو جراء حادث أو مرض أو ما قارب أو شابه، لكن أن يتحول إلى فعل دموى جماعي وقصدي مرهون بسادية متوارثة، تتراوح ما بين بث مخاوف وتوريد

إدعاءات وصلف تبريرات تتستر بضخ أساليب قهر وإذلال، وأفانين ترويع و تمريرات مهازل غير مسارب الترويع والتلويع بها وصولاً لغايات أبعد ما تكون عن اصل وفصل الحقيقة، التي قال عنها "شكسبير" إنها تُخلج الشيطان.

هى سحب أنفاس كاوية، وزفرات حرى يوهج ملتاح يصبو لأن يدانى وينوش مجسات كل ذلك التاريخ المتخوم بأنين الأسى ومتواليات ظلم وحيثيات جحود متراكم بحق إنسانية الانسان، أينما كان، ذلك العدوان الغاشم والمتأخى والمتأصل فى ثنايا وخبايا ما تضرمر تلك النفوس الشريرة بعطشها الدائم للموت والدم، بعد أن أضحى الظلم ممتداً متغلغلاً بأنساغ جذور عُمر أعتى الديكتاتوريات التى شهدها عالمنا الأرضى، وما نتج عنها وتقرخ فى مفاقر الحروب و نوازع الاقتتال، وما تربى منها وترعرع فى أحضان مجانبات الموت وجنونات متوالياته على النحو الذى يدعونا تعرية وإدائه كل تلك الأساليب والالاعيب القذرة التى يبرر لها ويروج من ينعنون أنفسهم بـ "القادة التاريخيين" أرباب أولئك الطغاة الذين يصنعون تاريخاً موهوماً، مثزيفاً وملوثاً ومزكوماً بروائح الحروب وسطوة مصائبها ونتائج تداعياتها، وكما هو معروف فإن قرار إعلان شن الحرب أبسط بكثير من قرار إنهاؤها أو وضع حد لها.

رائحة العنوان النفاذه:

على منوال هذا الوهج وبهذا النهج التقريعى الابداعى المتداخل والمنسوج بلوازم فكرية يقظة، حاذقة استضاءات به مسرحية المخرج "عماد محمد" المنضوية تحت عنوان "رائحة حرب" ولنفس هذا العنوان المعد أصلاً بشراكة وعى مثابر مدعم بنوع من توريات ومقاصد بليغة من لدن الكاتب المسرحى "مثال غازى" والكاتب "يوسف البحرى" عن رواية للكاتب الفلسطينى "أكرم مسلم" المعنونة "التبس الأمر على القلق" وليشكل هذا الثلاثى نسقاً معبراً عن حميمية وحتمية هذا التلاقى العربى المشترك، نعود لنقول مجدداً أن لنفس عنوان مسرحية "عماد محمد" والتى جسد أدوارها الكبير "عزيز خيون"، بدور الجد والكبيرة "عواطف نعيم، بدور الجدة" والمبدع المتجدد "يحيى ابراهيم"، بدور الحفيد" فضلاً عن اسهام المخرج بصياغة "السينوغرافيا" وتقنيات العرض السينمائى مع المبدعين "هشام كاظم" وتحسسات المؤثرات الصوتية لـ "على أكرم" كذلك الديكور الذى أبدع فيه "محمد عودة النقاش" مع "علاوى حسين" وبما يُضفى لتطويع المرامى الفلسفية والجمالية، إحالة قصدية مختلفة عن كل أو أغلب الأعمال المسرحية التى تناولت موضوعة الحرب وتُسمت بأسمائها سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، ولعل جدية تلك القصدية الواثقة من مخرج مبتكر وبجدارة وجراً إختلافها يكمن بروح التجسس ودرجات التحسس الحذر بنفاذ رائحة حرب، وإذ يأتى الأسم هنا فى صيغة "نكرة" أى غير مُعرفة بـ "أل" إنما لكى يعطى بُعداً دلالياً لإستمرار و ديمومة غموض مسببات وقوع الحرب "أى حرب كانت" وفى أى مكان، وتحت أى طائل أو تصور ينبئ بطغيان هذا الشبح القاسى، المخيف والمرعب حد الذهول، كما كانت -ولم تزل- البشرية عموماً تتشم رائحة الطاعون منذ عصور خلت، حتى أن اسم هذا المرض أضحى أقتراناً بالموت المُحتم،

كما تختفى تحت هذا المسمى "رائحة الحرب" بما يشي بالتحذير وقلق التساؤل وهاجس الريبة جراء ما يحمله من نذير شؤم، وشواخص خبرة منها ما يقع في حيز "الشعور" والآخر في حيز "اللاشعور"، ربما قد تتأخم أو تتحدد فكرة تحذيرات "هيراكليس" وهو ينصح قائلاً: "في بحثك عن الحقيقة كُن متأهباً دوماً لما هو غير متوقع، لأن الحقيقة منهكة في البحث عنها... وباعثة على الحيرة عند إيجادها." (11)

التباس الأمر على القلق:

تبنت هذه المسرحية "لغة تحاورية مُثقلة بتناقضات طرح ولوامح فكر تدميري تمثل بشخصية "الجد" الذي هو جنرال سابق تمرس على القتل والترويع والتبرير لمجمل فجائعه وغموض أسرارهِ وتناقضات ازدواج ما يحمل وحقيقه ما يفعل وطبيعة ما يبرر ويناور ويرتدى من أقنعة ووجوه تبعاً لتلبية دواعي ما يسكنه من نوازع عنف وعدوان، أمام سوائح انفتاح ما تحمله "الجدة" من إشراقات أمل ونزوع غامر للحب والخصب والحياة، وهذا ما يجعل العلاقة بين الزوجين في نهاية الأمر وطبيعة الحال خائفة، متناقضة حادة ومتطرفة نتج عنها اضطراب شخصية الحفيد الذي تتراوح أسئلته المسننة والواعية ما بين خوف وتمرد وحيرة بلوى أخذت تتوالد لتنتج أخرى تتسع وتكبر لتصل إلى سلسلة ممتدة ومعقدة من حمم مشاعر وتدفق قناعات وتشابك أفكار وتناقضات رؤى، أودت بالحفيد للإصابة بحالات التباس وتشويش" (12) عبر توالى فقدان الأب/أثر قسوة الحرب/وطغيان الجد، الذي طوق الحفيد الملتبس بمناسيب حالات وخواص سلوكيات حائرة ومدحورة وخائبة.

جاء هول تلك التناقضات وجدل عصف غموض إجابات "الجد" المحرض الدائم على فكرة الموت وإشعال فتيل الحرب، والتلويح بها حتى غدت نهجاً وسيرة ووجوداً، فيما "الجدة" التي حرصت على أن يقف "القلق" على رجلين لا رجل واحدة، أحاقت بالرجل الحفيد وجعلته محبباً خائفاً حائراً بسبب جملة فوضت من أصل وجوده في الحاضر، ثم أضاعت عليه فرص النظر للمستقبل بأكثر من عين، أدى دور "الحفيد" بجرأة وعى وجدارة فائقة الممثل "يحيى ابراهيم" إلى جنب جبلين أشمين في عمق مهارة خبرة وتصاعد قدرات أدائية فائقة الأثر والتأثير لكل من "عزيز" و "عواطف" كما اشرنا في بدء تعبيد الطريق نحو هذا العمل التتابعى بخوالص منهجيات الشجب والرفض وتصويب الإدانة القادرة على تثوير المشاعر وتوسيع مدارك المتلقى بالمستوى والقدر الذي يدانى حجم كمية الأضرار الفادحة وكثافة الشرور التي تركت ميراثاتها هذه الأنظمة وهي تترج بشعوبها بحروب وحصارات وأكاذيب ثورات خاوية والتي سعت وبرعت مسرحية "رائحة حرب" إلى تلخيص الكثير من جوانبها ورجرت من نسق التباسات متتابعة راحت ضحيتها أجيال تلو أخرى لم ترث غير العوق الذهني والنفسي والفكري والوجداني وتبعات ركام خسارات مُتعاقبة من دون أى إنقطاع.

وهو أنه "استجابة للدوافع في ظروف تحليلية وبطريقة بارعة في التخيل، ولها قوى محركة فعالة حيث تكون الاستجابات صادقة من حيث الأسلوب في التعبير عن الشخصية وبيئتها، بحيث تنقل الأفكار والأحاسيس إلى المتفرجين) ويرى أن التمثيل يعتمد على عاملين أساسيين هما: أن يكون آلة جسدية حرة، وأن يستوعب حرفة التمثيل وتقنياته، وأن مسئولية الممثل في النهاية أن يتواصل مع المتفرجين، وليس مجرد أن يتواصل مع الممثل الآخر الموجود في المنظر، أو مع نفسه" (1).

كما أشار "معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية لـ (إبراهيم حماده) .."وعن فن الممثل نشير إلى أن الحساسية المتوسطة عند توفر التحكم الذاتي تعطينا ممثلاً جيداً - أما الحساسية المفرطة مع التحكم الذاتي فتعطينا ممثلاً عظيماً، وأن (الذاكرة الانفعالية) - إلى جانب قدرتها على تثبيت معان جديدة معينة - تمتلك القدرة أيضاً على تركيز المشاعر المتجانسة، وأنه يجب أن يتحول الممثل إلى إنسان آخر، وأن يبقى هو ذاته في الوقت نفسه". (2) هذه هي الصيغة التي تعبر ديالكتيك التقمص الإبداعي للممثل.

دواعي غياب الأب:

لقد جاء وأد دور الأب قصداً إجرائياً ملهماً ومُحرضاً في الحث على أثر فعل انقطاع صلة الأجيال مع بعضها من خلال "الحفيد" الشاب اليتيم الذي راحت تتلاطمه أمواج قناعات "الجد" بالترويج للموت بشتى الأشكال والأدوات الممكنة والمتاحة، وما بين إشراقات "الجدة" وأملها المنشود في صنع الحياة وتصحيح مسارات عافيتها من خلال هذا الحفيد الذي ابتكرت تسميته بـ "اللقلق" لكي تدرأ عنه لعنة الموت، كما هو متبع وسائد في عقائدنا الشعبية حتى تضطر الأم أو من ينوب عنها بتبديل أسم الوليد إلى اسم غير محبوب أو غير مستساغ للغرض النفسي والعقائدي.

على الممثل أن يقود بحكمة الخامة التي يقوم عليها دوره، وعليه أيضاً أن يتفانى في حب هذه الخامة ويعمل جاهداً على تطويرها وتشكيلها بألوان مختلفة مناسبة من الأداء التمثيلي الجاد، وعليه أيضاً أن ينفعل خارجياً بما يوافق الانفعال الداخلي وبما يناسبه، وبما لايزيد عنه أو ينقص حتى تأتي حركة الجسد ملائمة تماماً للحركة الداخلية الصادرة بالانفعال أو العاطفة .. ولايتأتى هذا الشكل الخارجي الدقيق إلا بالتمرين الدائم غير المنقطع من الممثل، على حد قول هايبير جوردون ...

"في الأيام التي كان يغلب عليها الطابع النظري بشكل أكبر كان يوجد سر. وكما قال "لي سيتراسبرج لو أن التمثيل هو استجابة لمثير تخيلي وأن هناك مستجيبين كثيرين جيدين حولنا كيف يحدث أننا لانشق طريقنا في بحر من الممثلين العظام؟ ولماذا حيثما ننظر لا نكتشف ممثلين كبار؟ ربما قد نتسامح مع المشاهدين غير الملقنين مبادئ الفن نتسامح معهم على عدم تعرفهم على هؤلاء

المستجيبين للفنتازيا ولكن بالتأكيد فإن الشخص المسرحي ذو الخبرة المتوسطة لابد أن يكون قادراً على تحديد مكانهم" (2).

المعمل المسرحي يعتبر النص الوسيلة المساعدة لإحداث تأثير عنيف أو رد فعل عند الجمهور. والمشكلة الأولى التي واجهت المعمل المسرحي هي العثور على طريقة جديدة في التعبير. واكتشف المعمل من خلال تجاربه العديدة أن المسرح الذي لا يعتمد على النص وحده هو الطريقة الجديدة في التعبير المسرحي (المستقل بذاته) فكما يقول جروتوفسكي: "إن النص بالنسبة لنا لا يعدو أن يكون أحد العناصر التي تكون المسرحية رغم أنه ليس أقلها أهمية أما معنى المسرحية فلا يعبر عنه إلا عن طريق الوسائل المسرحية الخاصة والمخرج يتصرف في النص بحرية ولكنه لا ينزلق أبداً في التفسيرات الشخصية، إنه يحاول أن يتلمس سحر الكلمات في حب ويراقبها بعناية وهي تمثل" (1).

"يقول "ميلان كونديرا" قلا متون إحدى رواياته "لعل المشكلة الكبرى في الحياة الخاصة هي الموت بوصفه فقدان الذات، لا على أنها خلاصة لكل ما تتذكر تلك الذات، وأن ما يربنا في الموت ليس فقدان المستقبل، بل ضياع الماضي، وأن النسيان ما هو إلا شكل من أشكال الموت." (13)

فشكل ذلك الغياب المدروس والمحسوس لدور "الأب" في سياق العرض الكامل لمسرحية "رائحة حرب" بما يغري ويثير المخيلة ويزيد من حمم التفكير بما يجب أن يكون عليه حال الإنسان ومصيره الملتبس في مثل هذه البلدان التي لم تتخلص بعد من جثوم ونفث سموم ما تطلقه تلك الأنظمة الهاضمة لحقوق شعوبها تحت غواية التشبث بالسلطة مهما كلفها ذلك من أثمان باهظة على حساب مصائر أناسها والسعى لزجهم في حروب خاسرة، جائزة وقودها الإنسان والحجارة، وكما لو أن تلك الأنظمة ورموز القمع والقتل من سلالات هذه الديكتاتوريات تؤمن أو تردد في نفسها عبارة "على العلا حتى ولو على الخازوق".

"وهنا تكمن إشكالية في غاية الحساسية، وهي كيف يمكن الكشف عن الآخر الذي فينا، كيف يمكن خلق التناسق والتناغم (الهارموني) بين الباطن والظاهر، بين الآنا والجسد، بين النفس والعقل، بين الأحاسيس والأفكار التي تدور في باطننا وتظهر في حركاتنا الجسدية، كيف يمكن إزالة ذلك "الإنقسام" أو "الانقسام" الذي يسود عالم الإنسان، والذي يجثم على طبقات كينونته؟ كيف يمكن للإنسان أن يعيش بكامل كيانه، وأن يكسر أطواق الشروط والضغوط الاجتماعية والثقافية، ويقوم بفعل تام بمنح نفسه من خلاله؟ ذلك "الفعل التام" الذي تمتد فيه الطاقات المتعددة، وفي تناغم وفي آن واحد" (1).

بعد ما ورد لابد من تعظيم قيمة أثر، بل مآثر ما خلص إليه ذروة النسق الختامي الذي لجأ إليه المخرج "عماد محمد" بمعاضده نابهة سامية وصادمة من صانع ومبتكر "السينوغرافيا" وترويضها على

"الداتا شو" عبر تصوير ثلاث نهايات متوالية تشممننا في المشهد الأول من ضفاف نهاية العرض رائحة الموت بالخنق من خلال سد الديكتاتور لكل منافذ الخروج من السجن الذى طوق به الجده والحفيد، وفي مقترح النهاية الثانية من خلال رميهم بالرصاص وفي الثالثة أهاج عليهم ألسنة لهب نيران الحرائق الهائجة، فيما ينبثق الأمل من خلال أسراب الطيور والبط والقالق، بمراسيم ختام مجترح بعناية وتفكير وبراعة تلويح بأن الحياة أقوى من الموت، وأن العالم بحاجة إلى دقات قلب، لا إلى إقراع طبول الحرب.

"ينزل المخرج العراقى عماد محمد مسرحيته "رائحة حرب" للفرقة الوطنية للتمثيل بالعراق، من حيث المضمون، فى سياق حالة الالتباس الذى تعيشه العراق اليوم كغيرها من البلدان العربية الأخرى التى تتشابه وتتقاطع معها فى نفس الأوضاع على أصعدة مختلفة ووضع الالتباس السياسى والاجتماعى والأيدولوجى أمثلة ووقائع حية ومؤكدة لذلك حاول بلورتها فى هذا العمل الذى صاغه بإعتماد التقنيات الرقمية التى يشغل عليها ويعتبرها جزءاً هاماً وأحد أعمدة مشروعه المسرحى." (14)

هى تجربة لها خصوصية فى التأليف المشترك الذى جمع بين ثلاثة كتاب يمثل كل واحد فيهم إطاراً مكانياً وخلفية ثقافية وسياسية ووضعاً مختلفاً عن الآخر. وهى تجربة جديدة فى مسيرة المخرج التى قاربت العقدين وقدم خلالها ثلاثة عشر عملاً مسرحياً توج فى بعضها بجوائز فى مهرجانات مسرحية عربية.

وفى تعاطيه مع النقاطات النصية المختلفة فى "رائحة حرب" أكد مخرج المسرحية أن هذا الاختلاف جعله يبحث عن مستويات أخرى داخل العرض بمراعاة طبيعة البناء الدرامى لنص العرض الذى صاغه بالاتفاق مع البقية الكاتب العراقى مثال غازى خاصة أن مراحل التحضير لهذا المشروع استغرقت أكثر من سنتين موضحاً أن الخطوة الأولى فى هذا المشروع انطلقت مع الكاتب التونسى يوسف البحرى وذلك بعد أن وجد نصه مغرياً من حيث ثراء الأفكار وتنوع وتعدد اللوحات التى حامت كلها حول مسألة "الالتباس" لتكون الخطوة الثانية فى سياق نفس المشروع المسرحى.

وبين المخرج أن خصوصية وحساسية التجربة جعلته يحرص على مراعاة كل متعلقات العرض الفنية والدرامية والجمالية بإعتبار أن العنصر الرقوى والسينوغرافيا من أساسيات هذا العمل، وذلك دون هيمنة عنصر على عنصر آخر بما فى ذلك الممثل الذى يظل صاحب الدور الرئيسى فى العرض لكن مع المحافظة على السير المتوازى لبقية خطوط العرض المسرحى.

إن المهمة لم تكن سهلة بالنسبة للممثلين خاصة أنه حاول فى هذا العمل أن تكون "روح" العراق بإنقساماته السياسية والطائفية والفكرية والدينية حاضرة فى المتن المسرحى بإعتبارها انقسامات تتقاطع فيها الأوضاع.

ثانياً: العرض العراقي (فى قلب بغداد)

تأليف وإخراج/ مهند هادى

مهرجان المسرح العربى - تونس 2018

مسرحية فى قلب بغداد "أنتجها المركز العربى للثقافة والاعلام فى مالمو بالسويد وكتب ونصها وأخرجها ومثل فيها مهند الهادى مع الممثلة لبوة عرب وحامد الدليمى وحسن الهادى وأعد لها السينوغرافيا محمد عودة.

طرح فكرة القنطاريا التى يعيشها العراقي:

خرج نص مسرحية "فى قلب بغداد" من اليومى (الراهن) العراقى الذى كتب نصها المخرج بعد أن تعرض إلى الموت فى ثلاث مناسبات فى نفس اليوم وهو يتجول فى شوارع بغداد كانت تجربة خرج منها مهند بنتيجة أن الانسان فى الأماكن الأخرى يموت مصادفة لأن الموت يحيط به فى كل مكان وفى كل وقت، والعراقيون يؤجلون يوماً موتهم لأنهم يتجولون فى شوارع بغداد "شوارع الموت" "والحقيقة والكلام هنا لمهند" أن الموت فى العراق مفروض عبر العقود والأزمان ويتجدد فى كل مرة يوجد له شكل جديد أو أحر وظروف وظروف تؤدى له. وفى مثل هذا العرض سنتناول مرحلة مهمة فى تاريخ العراق منذ سنة 1958 إلى يومنا هذا عندما أصبح الإنسان العراقى ضحية السيارات المفخخة والأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة لقد حاولنا اعتماد رؤية فكرية وجمالية كسونا بها شخصاً من الهامش العراقى مثل بائع الجرائد الذى لا يرى فى الجريدة خبراً وإنما مصدراً للرزق والمتعاطى للمخدرات وحبوب الهلوسة الذى يعتقد أن كل ما يحدث فى الشارع إنما هو تأثير الحبوب وأن الدخول الأمريكى للعراق والقتل الطائفى موجود فقط فى رأسه ولا علاقة لهما بالواقع وعبر هذين الشخصين حاولنا طرح فكرة القنطاريا التى يعيشها العراقى فى الشارع ويرفض أن يقبل الواقع. "كما نتناول المسرحية واقع المرأة العراقية التى تتعرض إلى ظلم حقيقى مضاعف تحت سلطة العائلة ثم تحت سلطة الزوج مما يجعلها تتمنى الموت وتتساءل لماذا لا تكون حياتها أفضل وترفض الإنجاب لأنها تعتقد أن طفلها إما سيكون قاتلاً أو مقتولاً؟

من حالة مسرحية إلى حالة مدنية:

قبل الإجابة عما تم توجيهه له من أسئلة شكر الممثل حسن هادى الهيئة العربية للمسرح لأنها بدأت تعتمد العروض المسرحية القادمة من أوروبا ويمثلها عرب وقال أنه سعيد جداً لأن المركز العربى للثقافة وللإعلام فى السويد أنتج العمل وساعد على عرضه للجالية العربية فى السويد التى تقبلته حتى أصبح العرض يستقطب فى كل مرة عدداً أكبر من المرة التى سبقتها، وأضاف "هذا المركز يسعى إلى تجاوز وضعية الانتاج المشترك إلى إنتاج (اللون الحار) ليساعد العرب فى السويد على اندماج صلب

المجتمع الذي يعيشون فيه وليتعرف السويديون مثلاً على طريقة رد الفعل على مجريات الأحداث التي تتحدث عنها. علماً بأن المتلقى الأوروبي والسويدي خاصة تفاعل مع مسرحنا رغم عائق اللغة وفهم الصور بعد اشتغالنا الجديد على شكل المسرح ومنظومة التمثيل وعلى الإضاءة وقد أحدث عرضنا ردة فعل إيجابية ومشجعة على المواصلة"، نحن أمام حالة هي أقرب إلى التظاهرة المسرحية التي تحفل بالموسيقى الحية والإبداعات التشكيلية في محاولة لاحتواء الواقع في التجربة الفنية للمسرح ويقول "كانتور في هذا الصدد إن الهايننج ما هو إلا نوع من الاقتحام، يؤدي إلى مشاركة المتفرج، الممثل لأسلوب ومنهج ناتجين عن خبرات طويلة المدى، هي ذلك التأثير الناتج عن تعدد الخبرات التي يتعرض لها المتفرج، الذي يملك مطلق الحرية في الحركة داخل صالة المسرح، ليحدد بنفسه زوايا الرؤية، وهو يستطيع أن يغير هذه الزاوية من حين لآخر. إن حرية الحركة الممنوحة للمتفرج تمثل مشاركته الإيجابية في العرض المسرحي، فهو ليس متلقياً سلبياً يسترخي في مقعده ويشاهد ما يعرض أمامه في هدوء، ولكنه يتنقل ويحدد بنفسه طبيعة التأثير الذي يود أن ينعكس عليه"⁽¹⁾.

لذلك فمن أهم سمات المسرحية، التركيز على القيم التشكيلية للعرض المسرحي، واعتبار المكان المسرحي، العنصر الأساسي في تجربة الإخراج، مما أدى إلى الاستغراق في التعبير الرمزي، كذلك الاهتمام بالطاقة الشاعرية الميتافيزيقية والصوفية الصادرة من العرض المسرحي والتركيز على خلقها للتأثير على المتفرج بشكل يحدث صدمة قوية في أعماقه، ومن هذه السمات أيضاً مزج النمط البطولي الرومانسي بما يحمله من شعور بالضياح واليأس كما يقول مهند هادي " تحول المسرح العراقي إلى حالة مدنية رفضها المخرج مهند هادي قائلاً أنه لابد للمسرح من أن لا يغفل على الواقع وذاك واقعنا وقال: "أنا ألاحظ أن كل العروض المسرحية التونسية الراهنة أصبحت مختلفة تماماً عما سبق تقديمه من قبل وهذا لأن المسرح لصيق للحياة ونعد الكل بأننا لن نكون بكائين أو نحابين".

وعن سبب استعمال اللهجة العراقية في المسرحية لاحظ مهند هادي أنه يكره أن يفصل للآخر ووضح: "اكتب بلهجتي لأنني طالما أعجبت بالتونسين الذين يستعملون لهجتهم في مسرحياتهم فيفهما الجميع وكذلك لأن شخصياتي لصيقة بالواقع ولا أرى بائع جرائد أمي يتحدث بالعربية الفصحى التي أتعنها جيداً ولكنني مقتنع بأن اللهجة الأم الدارجة تحمل الفكر والوجدان وهي الخصوصية"⁽²⁾.

فهناك بطبيعة الحال جزء هام من المدونة "السردية" العراقية التي حولت منذ سقوط النظام العراقي السابق في العام 2003، تيمة "الموت" إلى تيمة قارة لدى الكتاب العراقيين، إلى درجة أن الباحث العراقي فارس نايف الفايز في كتابه "تمثلات الموت" في الرواية العراقية 2003-2013، يؤكد أنه لا رواية أو مجموعة قصصية أو شعرية عراقية خلصت من فكرة الموت وتمثلاته، حتى عد بعض النقاد العراقيين أنفسهم أن اللغة العراقية لغة حزن منذ سومر وحتى الآن.

وقريباً من النص العراقي الحديث، يقف المسرح العراقي أيضاً على نفس الخط "السردى" الذى يربط الموت بحياة العراقي، ربطاً لا فكاك منه، ذلك الموت الذى تختلف أشكاله ولكنه يظل مستأسداً دائماً على تخوم الرعب ملقياً بالعراقي، فى ما بعد مرحلة صدام حسين، بين فكى المصائر المجهولة والفوبيا المُمعمة التى تجعل من أشلاء الضحايا أمراً يستحق أن ننظر إلى الموت بمنظار الرفاقية أو الصداقة التى لا تستدعى أى شئ سوى الواقع الدموى.

ومسرحية "فى قلب بغداد"، لم تخرج عن خط الموت، بل هى تعيدنا، أى المسرحية، إلى دائرة المتشابه، وكأن الموت أصبح "نشرة عاطفية" لدى المثقف العراقي فى العقد الأخير" (15).

هى تستدعى الموت بحذافيره إلى قلب اللعبة المسرحية لكانه قدر بل هو نذر لا خلاص منه.

المسرحية حاولت أن تتقنع بالفانتازيا، رغم أن الواقع العراقي نفسه يبدو أبشع كثيراً من "مرويه" متقنعة بالعرائبية. فالموت فى "قلب بغداد" لا يحتاج إلى أذن، ذلك أنه يحدث "مصادفة"، مثلما تحدث الأشياء التى تبدو بلا قيمة ظاهرياً. وهنا منطق التعايش مع الموت يفرض، فى اعتقادنا، تناولاً مختلفاً لكسر ريثماته، والقفز به من دائرة "المستهلك" إلى هوية جديدة هى هوية "المختلف".

قلب بغداد... الموت وفق رؤية أحادية...

بحثنا كثيراً عن تفكيك هذا العمل وفق عناصره الفرجوية، أمام طغيان النص، وهى خصيصة على ما يبدو فى المسرح العراقي، انطلاقاً من قناعة أن الموت يخضع هو الآخر إلى عملية تشكيل جمالى.

سعى المخرج، ضمن الرؤيا الحادية، إلى تنويع عناصر لعبته المسرحية، وفى المقابل لم يبحث لإحداث تشكيل بصرى يقوم بعمل "الصدمة" مثلما لم يستغل شخصياته، التى بان على ممثليها الثقل على خشبة المسرح، أو باقى "التقنيات" المتوفرة لديه فى إحداث تلك القطيعة مع "المستهلك" وتغيير "الريثمات" وابتكار إيقاع خاص لمسرحية أرادت أن تشتبك مع موضوعه هى بالأساس شأن عراقي يومى.

إن البشاعة تستحق أيضاً أن يقع استجلابها لى دائرة الفعل المسرحى، بل إن أحد أوكد اهتمامات القائم على العملية الابداعية أن يضيف عليها من، فى إطار عملية تشبيك جمالى مستنقزة لليقينات ومحدثات للصدمة بل وهذا هو المهم منتجة لكتابة ركحية مغايرة، إلا أن الموت فى مسرحية "فى قلب بغداد" بقى اسمه "الموت"، دون أن نعرف حقيقة سر هذه العلاقة العاطفية بين العراقي والموت.

وعموماً تظل مسرحية "فى قلب بغداد"، عملاً يشد الجمهور العربى، لكثافته العاطفية، وسخريته الشديدة من عبث القتل على الهوية وخصومات أبناء البلد الواحد، فى الوقت الذى يتربص مجاميع الإرهاب بهذا البلد الذى يمتاز بثقافته بتلك القدرة على "توظيف ما تتطوى عليه فكرة ما بعد الموت

بعوالمها المغيبة والملغزة، ارتياد مناطقها والإنصات إلى أفكار الشخصيات وهمومها وفق آليات مغايرة وغير مباشرة أو تقليدية.

المخرج المسرحي بين الدور والوظيفة:

كثيراً مايرجع بعض النقاد والمتخصصين في الوطن العربي أزمة المسرح الراهنة إلى غياب النصوص الجيدة، أما الأوروبيون فقد تخطوا هذه النظرية، "حينما ركزوا اهتمامهم على المسرح كحركة ديناميكية متعددة الجوانب لا تحدها حدود النص الجيد، خاصة وقد أثبتت التجربة أن هناك نصوصاً متعددة الجوانب لا تحدها حدود النص الجيد، خاصة وقد أثبتت التجربة أن هناك نصوصاً ضعيفة قد ارتفع مستواها واستطاعت تحقيق النجاح بتميز وكفاءة إخراجها، وحسن أداء الممثلين المشاركين فيها"⁽¹⁶⁾. وأكبر دليل على ذلك هو نجاح المسرح الأوروبي في إعادة تناول المسرحيات القديمة وإحيائها برؤية جديدة، وكان هذا كفيلاً ببعث الحركة المسرحية على أسس من الدراسة الفلسفية والتقنيات الحديثة دون انتظار لنصوص أو مؤلفات جديدة وفي ذلك كتب "أحمد زكي":

"المسرح العالمي دائماً يعيش حركة زاهرة بالنشاط برغم اقترانه أحياناً بفترات خالية من العلامات الهامة في حياته .. وكاد المسرح التجريبي أن يختفي بعد ازدهاره في الستينيات لولا جهود المخرجين الطليعيين الذين عاودوا التجريب بكل أبعاده .. إذن فالموجه المسرحية المتطورة تتميز بحركتها الدائبة وليس بنصوصها فحسب، والمخرجون هم المحركون الرئيسيون لها وليس المؤلفون"⁽¹⁷⁾.

والجدير بالذكر أن الإيقاع العام للعمل هو الذي يعطي الحياة للعرض المسرحي، وهو الذي يربط أجزاءه بعضها البعض في صورة متجانسة ومنسقة للفعل الدرامي وللممثلين وللحوار، وخلقة للإيهام وجاذبة للمشاهدين، وللإيقاع وظائف هامة من بينها تقرير المزاج ونقل انطباع المكان وتقرير طبيعة كل شخصية، ونقل الإحساس بتغير المشهد أو المكان عن طريق تغيير الإيقاع بالإضافة إلى ربط ودمج أجزاء المسرحية جميعها معاً.

وإذا كان المخرج في المسرح المعاصر، هو المخطط لمشروع الإنتاج المسرحي، فهو في الوقت ذاته، العقل المفكر، والمبدع لتفاصيل وكليات العرض المسرحي، هو القيادة الفنية والفكرية للعملية المسرحية، وإن لم تكن بالضرورة القيادة الإدارية والمالية.

والمخرج هو الذي يختار النص المسرحي، أو يوافق عليه على الأقل هو الذي يحدد متطلبات العرض المسرحي: مكان العرض، والفنانين التعبيريين من ممثلين وراقصين، وموسيقيين، ويتدارس مع المؤلف الموسيقي، والملحن، ومصمم الرقص، ومدربه، أسلوب ومنهج العمل الفني، ويتدارس معهم

التفاصيل الفنية بحيث يأتي كل هذا معبراً عن الرؤيا التي استقر عليها المخرج في إخراج النص المسرحي.

"ولتحقيق مثل هذا الهدف، يجب أن تكون للمخرج القدرة على توجيه وتحريك مجموعات العاملين، وفي مقدمتهم الممثلين، ثم الفنانين الموكلين بالمنظر والأزياء والأضواء، وفي النهاية - إذا لزم ذلك - ميكانيكا العرض، والموسيقى والرقص. ولكي يتوصل المخرج إلى الوفاء بهذا الالتزام الثقيل، وبتلك المسؤوليات الجسيمة قبل المؤلف، والفنانين، والجمهور، لابد أن يكون -أولاً - ذا ثقافة واسعة متعددة الجوانب، ولابد أن يكون - ثانياً - مبدعاً، أي فناناً"⁽¹⁸⁾، وهذا ما وجدناه في العروض عينة الدراسة.

نتائج الدراسة:

- 1- لقد مر المسرح العراقي بالعديد من المراحل وصولاً إلى الاتجاهات الحداثية في الإخراج المسرحي، ولعل المبدع العراقي في تجربته الإبداعية كمخرج مسرحي ليست ببعيدة عن تلك الأبعاد والدلالات حيث أنه تنوعت المدارس والاتجاهات في الإخراج المسرحي في تجربته الإبداعية،
- 2- المخرج هو راءٍ متفرد نتيجة لرؤيته الإبداعية الخاصة التي تتشكل في زمن الإبداع ولا يمكن للمخرج أن ينجح في استعمال وسائله التعبيرية بشكل مبدع ما لم يمتلك معرفة دقيقة بقوانين التأليف المسرحي أيضاً حتى يكون خالقاً ومبدعاً للنص بوسائله البصرية من هنا يبدأ تأليف الرؤيا الإخراجية والكتابة والفكر الإخراجي بحيث يكون المخرج مؤلفاً ثانياً للنص أي أنه يقوم بتأليف النص وإعادة خلقه بصرياً.
- 3- لا يوجد مسرح إلا إذا وجد عنصر القسوة كأساس في كل عرض، وكلمة القسوة عند (أرتو) تعني شهوة الحياة، وعند العالم وبالضرورة الحتمية، كما يعني بها أيضاً حب الحياة أو دوامة الحياة التي تلتهم الكلمات، أو بمعنى آخر ذلك الألم الذي لا يمكن بدونه، أن تكون ضرورة الحياة حتمية.
- 4- إن الممثل في دوره تسيطر عليه إحساسات معينة تماماً كما لو كان في الحياة، فالمطلوب منه إذن أن يتوفر فيه الإحساس وقوة التركيز للأفكار وقوة التذكر لأشكال الحركة الجسمية، ثم الإحساس بآلية هذه الحركة.
- 5- المعمل المسرحي يعتبر النص الوسيلة المساعدة لإحداث تأثير عنيف أو رد فعل عند الجمهور. والمشكلة الأولى التي واجهت المعمل المسرحي هي العثور على طريقة جديدة في التعبير.
- 6- يمكن الكشف عن الآخر الذي فينا، كيف يمكن خلق التناسق والتناغم (الهارموني) بين الباطن والظاهر، بين الآنا والجسد، بين النفس والعقل، بين الأحاسيس والأفكار التي تدور في باطننا وتظهر في حركاتنا الجسدية، كيف يمكن إزالة ذلك "الإنفصام" أو "الانقسام" الذي يسود عالم الإنسان.

7- ينزل المخرج العراقي عماد محمد مسرحيته "رائحة حرب" ، من حيث المضمون، فى سياق حالة الالتباس الذى تعيشه العراق اليوم كغيرها من البلدان العربية الأخرى التى تتشابه وتتقاطع معها فى نفس الأوضاع على أصعدة مختلفة ووضع الالتباس السياسى والاجتماعى والأيدولوجى أمثلة ووقائع حية ومؤكدة لذلك حاول بلورتها فى هذا العمل الذى صاغه بإعتماد التقنيات الرقمية التى يشغل عليها ويعتبرها جزءاً هاماً وأحد أعمدة مشروعه المسرحى.

8- بين المخرج أن خصوصية وحساسية التجربة جعلته يحرص على مراعاة كل متعلقات العرض الفنية والدرامية والجمالية بإعتبار أن العنصر الرقوى والسينوغرافيا من أساسيات هذا العمل، وذلك دون هيمنة عنصر على عنصر آخر بما فى ذلك الممثل الذى يظل صاحب الدور الرئيسى فى العرض لكن مع المحافظة على السير المتوازى لبقية خطوط العرض المسرحى.

9- خرج نص مسرحية "فى قلب بغداد" من اليومى (الراهن) العراقى الذى كتب نصها المخرج بعد أن تعرض إلى الموت فى ثلاث مناسبات فى نفس اليوم وهو يتجول فى شوارع بغداد كانت تجربة خرج منها مهند بنتيجة أن الانسان فى الأماكن الأخرى يموت مصادفة لأن الموت يحيط به فى كل مكان وفى كل وقت، والعراقيون يؤجلون يوماً موتهم لأنهم يتجولون فى شوارع بغداد "شوارع الموت".

10- من أهم سمات المسرحية، التركيز على القيم التشكيلية للعرض المسرحى، واعتبار المكان المسرحى، العنصر الأساسى فى تجربة الإخراج، مما أدى إلى الاستغراق فى التعبير الرمزي، كذلك الاهتمام بالطاقة الشاعرية الميتافيزيقية والصوفية الصادرة من العرض المسرحى.

11- تظل مسرحية "فى قلب بغداد"، عملاً يشد الجمهور العربى، لكثافته العاطفية، وسخريته الشديدة من عبث القتل على الهوية وخصومات أبناء البلد الواحد، فى الوقت الذى يتربص مجاميع الإرهاب بهذا البلد الذى يمتاز مثقفوه بتلك القدرة على "توظيف ما تنطوى عليه فكرة ما بعد الموت بعوالمها المغيبة والمغلزة، ارتياد مناطقها والإنصات إلى أفكار الشخصيات وهمومها وفق آليات مغايرة وغير مباشرة أو تقليدية.

12- أن الإيقاع العام للعمل هو الذى يعطي الحياة للعرض المسرحى، وهو الذى يربط أجزاءه بعضها البعض فى صورة متجانسة ومنسقة للفعل الدرامى وللممثلين وللحوار، وخلقة للإيهام وجاذبة للمشاهدين،

الهوامش

- (1) حاتم التليلى: رائحة حرب ثقافة الديجيتال أم مسرح بلادم، العدد الخامس، نشرة المهرجان، 14 يناير 2018، ص8.
- (2) نفس المرجع السابق، ص8.
- (3) انتونان أرتو: المسرح وقرينه، ترجمة: سامية أسعد أحمد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1973، ص170.
- (4) المرجع السابق، ص86.
- (5) المرجع السابق، ص88.
- (6) حاتم التليلى: مرجع سابق، ص9.
- (7) إريك بنتلي، نظرية المسرح الحديث، ص71.
- (8) أوديت أصلان: فن المسرح، ج1، ص115.
- (9) محمد إسماعيل محمد، مسرح القسوة، مرجع سابق، ص39.
- (5) ستانسلافسكي: حياتي في الفن، ترجمة، دريني خشبة، الجزء الثاني، مكتبة الناشر العربي، القاهرة، د.ت، ص304.
- (10) حاتم التليلى، مرجع سابق، ص9.
- (1) كمال عيد: دراسات في الأدب والمسرح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ص159.
- (2) أحمد زكي: اتجاهات المسرح المعاصرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2002، ص134.
- (11) حسن عبد الحميد: التباس مثاليات الموت في مسرحية رائحة حرب، العدد السادس، 15 يناير 2018، تونس، ص18.
- (12) حسن عبد الحميد: مرجع سابق، ص19.
- (1) توني بار: التمثيل المسرحي للسينما والتلفزيون، ترجمة أحمد الحضري، سلسلة الألف كتاب الثاني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1993، ص14.
- (2) إبراهيم حماده: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، مرجع سابق، ص225.
- (1) هاير جوردون: التمثيل والأداء المسرحي، ترجمة، محمد سيد، إصدارات أكاديمية الفنون، العدد 36، وزارة الثقافة، القاهرة، 1999، ص581.
- (2) سمير سرحان: تجارب جديدة في الفن المسرحي، القاهرة، مكتبة غريب، 1981، ص10.
- (3) نفس المرجع السابق: ص19.
- (1) نفس المرجع:، ص27.
- (14) نزهة الغضباني: الالتباس السياسي والطائفي في رائحة حرب، العدد الرابع، 14 يناير 2018، تونس، ص15.
- (1) يان كوسوفيتش: مسرح الموت عند كانتور، ترجمة هناء عبدالفتاح، إصدارات مهرجان القاهرة للمسرح التجريبي، وزارة الثقافة، القاهرة، 1993، ص60.
- (2) وليد أحمد: مرجع سابق، ص15.
- (15) وليد أحمد: الموت يحدث مصادفة ولا يحتاج إلى إذن في مسرحية في قلب بغداد، العدد الرابع، 14 يناير 2018، تونس، ص14.
- (16) عمرو دواره: دور المخرج بين مسارح الهواة والمحترفين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 2006، ص33.
- (17) أحمد زكي: المخرج والتصوير المسرحي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص7، 8.
- (18) عثمان عبد المعطي: عناصر الرؤية عند المخرج المسرحي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1996، ص21.

The reviewer:

- 1-Ahmed Zaki: Director and Theatrical Visualization, The General Book Authority, Cairo, 1988 .
- 2-Ahmed Zaki: Contemporary Theater Trends, The General Book Authority, Cairo, 2002.
- 3-Amr Dawara: The Director's Role Between Amateur and Professional Theatres, The General Book Authority, Cairo, 2006
- 4- Antonin Artaud: The Theater and its Correspondence, translated by: Samia Asaad Ahmed, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1973.
- 5- Eric Bentley, Theory of Modern Theatre.
- 6- Hatem El-Telili: The Smell of Digital Culture War or Blood Theater, Fifth Issue, Festival Bulletin, January 14, 2018.
- 7-Hyper Gordon: Acting and Theatrical Performance, translation, Mohamed Sayed, Academy of Arts Publications, Issue 36, Ministry of Culture, Cairo, 1999.
- 8- Hassan Abdel Hamid: Confusion about the metaphors of death in the play Smell of War, Issue Six, January 15, 2018, Tunisia.
- 9-Jan Kosovitch: Cantor's Theater of Death, translated by Hana Abdel Fattah, Cairo Festival for Experimental Theatre, Publications, Ministry of Culture, Cairo, 1993.
- 10- Kamal Eid: Studies in Literature and Theatre, The Egyptian House for Authoring and Translation, Cairo.
- 11-Nozha Al-Ghadbani: Political and Sectarian Confusion in the Scent of War, Issue 4, January 14, 2018, Tunis.
- 12- Odette Aslan: The Art of Theater, Part 1.
- 13-Samir Sarhan: New Experiments in Dramatic Art, Cairo, Gharib Bookshop, 1981.
- 14- Stanislavsky: My Life in Art, translation, Darini Khashaba, Part Two, Arab Publisher Library, Cairo, Dr. T.
- 15- Walid Ahmed: Death happens by chance and does not need permission in a play in the heart of Baghdad, Issue 4, January 14, 2018, Tunis.
- 16-Tony Barr: Theatrical Representation for Cinema and Television, translated by Ahmed Al-Hadary, The Alif Book II series, the General Book Authority, Cairo, 1993 .